

## المحاضرة الثالثة

### الاتجاهات العامة لدولة الخلافة العباسية

انتهجت دولة الخلافة العباسية منذ قيامها سياسة مشرقية واضحة وتطلعت بوجهها الى خراسان مهد نشأتها . وجاء هذا التحول نتيجة عدة عوامل لعل اهمها :

\_\_ مناوأة اهل الشام لانهم كانوا لا يزالون على ولائهم للامويين .

\_\_ انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد .

\_\_ التأثير الفارسي على النظم والحياة العباسية .

\_\_ انتعاش التجارة المشرقية .

\_\_ ابتعاد الدولة العباسية عن عالم البحر الابيض المتوسط .

\_\_ عدم اهتمام العباسيين بانشاء اسطول بحري في المتوسط يضارع الاسطول الاموي .

مما لاشك فيه ان انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين قد صحبه تغيير جذري وتطور واسع وعميق في مجمل الحياة الاسلامية وقد تجلى ذلك في الاتجاه العام للخلافة العباسية وتمثل في بادئ الامر بنقل العاصمة من دمشق الى بغداد مشكلا بذلك خطوة نوعية من الانتقال من العالم البيزنطي الى العالم الفارسي .

هذا وقد تراجع النشاط الحربي الكبير الذي شهده العصر الاموي على الجبهة الغربية في عالم البحر المتوسط ونظر العباسيون الى شواطئه على انها حدود ونهايات لدولتهم ينبغي الدفاع عنها لا الهجوم منها . ونتيجة لهذا التراجع تولت الامارات الاسلامية في المغرب والاندلس مسؤولية الدفاع عن الحوض الغربي لهذا البحر .

وانصرف العباسيون بشكل عام نحو الشرق ففي تركستان اوقفوا الخطر الصيني الزاحف على ديار المسلمين ثم سادت علاقات وثيقة بعد ذلك مع العالم الصيني خاصة التجارية وتوسع المسلمون في اقليم السند ووطدوا النفوذ الاسلامي هناك .

وحمل العصر العباسي معه تطورا اخر فقد جمع العباسيون السياسة مع الدين وهم في هذه الناحية يختلفون عن الامويين الذين اتهموا بالاهتمام بالمصالح الدنيوية فأعلنوا انهم يريدون احياء السنة واقامة العدل . فاحاطوا انفسهم بالعلماء والفقهاء وارتدوا بردة الرسول (ﷺ) كرمز لسלטتهم الدينية واستغلوا فكرة المهدي التي اوضحت شعارهم الديني والسياسي . واعتمدوا نظرية الامامة التي كانت محور عقيدتهم ودعوتهم . وقد اعطت هذه السياسة الدينية للخلافة العباسية مسحة من القداسة حيث اضحى سلطان الخلفاء مستمدا من الله سبحانه وتعالى واضحى مفهوم الخلافة شبيها بمفهوم الحق الالهي في الحكم الذي ساد ايام الساسانيين .

واتبع الخلفاء العباسيون بعض العادات الفارسية مثل : الاستنثار بالسلطة ، الاحتجاب عن الناس ، الظهور وسط حرس وحاشية فنشأت لذلك وظيفة الحجابة . كما وجدت طريقة خاصة للتسليم على الخليفة مثل : الانحناء ، تقبيل الارض او ذيل الثوب . وقد خالف العباسيون بذلك الروح العربية السمحة التي ظللت حياة الامويين .

وتأثرت حياة الخلفاء واساليبهم في العمل وطريقتهم في الحكم بالاساليب الفارسية وطغت على نظمهم الادارية تقاليد الديوان الفارسي كما شهد بلاطهم قيام الخدم والجواري .

ومن التأثيرات الفارسية التي دخلت العصر العباسي منصب الوزارة . واضحى للوزير من حيث المظهر والاختصاص والتسمية طابع جديد لم يكن من قبل . ويلاحظ ان معظم الوزراء العباسيين كانوا من اسر فارسية ، كالبرامكة ، وبني سهل ، وبني طاهر ، وبني الفرات ، وبني خاقان وغيرهم . واتبع الوزراء والكتاب ورجال الدولة التقاليد الفارسية القديمة في العمل والمراسلات .

### تقسيم تاريخ دولة الخلافة العباسية

حكمت دولة الخلافة العباسية قرابة 524 عاما : ( 132\_ 656 هـ / 750\_ 1258 م) وابتدأت بأبي العباس السفاح وانتهت بوفاة المستعصم حيث زالت على ايدي المغول . ولم تكن هذه الفترة الزمنية على نمط واحد من حيث قدرات الدولة وقوة الخلافة .

اصطلح المؤرخون على تقسيم تاريخ دولة الخلافة العباسية الى اربعة عصور وفقا لقدرات الخلافة وتطور اوضاعها السياسية وازدهار الحياة الثقافية والفكرية وهي :

#### العصر الاول :

هو عصر القوة التوسع والازدهار (132\_ 232 هـ / 750\_ 847 م)

#### العصر الثاني :

هو عصر النفوذ التركي (232\_ 334 هـ / 847\_ 946 م)

#### العصر الثالث :

هو عصر النفوذ البويهى الفارسي (334\_ 447 هـ / 946\_ 1055 م)

#### العصر الرابع :

هو عصر النفوذ السلجوقي التركي (447\_ 656 هـ / 1055\_ 1258 م)

## العصر العباسي الاول : 132\_232 هـ / 750\_847 م

ابتدأ هذا العصر بخلافة ابي العباس السفاح وانتهى بخلافة الواثق وتميز بقوة الخلافة واستقلالها التام وتركيز السلطات العليا في الدولة بيد الخلفاء الذين تمتعوا بقدرات شخصية وسياسية وادارية فذة استطاعوا من خلالها المحافظة على وحدة الدولة و اخماد الفتن والثورات التي قامت في وجهها .

تمتع الفرس في هذا العصر بمكانة مرموقة في الدولة وكان لنفوذهم الواسع تاثير كبير في توجيه سياستها حتى سيطروا اخيرا على الجهازين العسكري والاداري في بغداد والاقاليم الخاضعة لنفوذها فأحكموها قبضتهم على قيادة الجيوش والمناصب الادارية الكبرى كالوزارة والكتابة والولاية على البلدان .

وكان افراد الجيش عوناً للخلافة وأداة طيعة في يد الخلفاء . وقد ختم هذا الدور بانتهاء عهد الخلفاء الذين كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم ويخوضون غمرات الموت ولا يستسلمون لداعي الترف المضي .

ومثل هذا العصر الزاهي كل من الخلفاء : أبو العباس ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون ، المعتصم والواثق .

## العصر العباسي الثاني : 232\_334 هـ / 847\_946 م

ابتدأ هذا العصر بخلافة التوكل وانتهى خلال عهد المستكفي وتميز بضعف الخلافة وسقوط هيبتها شيئاً فشيئاً حتى تجرأ امراء الاطراف بالتخطيط للانفصال عنها . واحكم الاثراك في هذا العصر قبضتهم على اجهزة الدولة . ومنذ عهد المتوكل بدأ الانحلال يتسرب الى جسمها بفعل ازدياد نفوذهم . وكان هذا الانقلاب من الحكم العربي الى الحكم التركي مظهراً من مظاهر الثورة التي شعر بها معظم اجزاء الخلافة وادت الى اضعاف سلطة الخليفة ثم تلاشيتها في النهاية .

وازداد ضعف الخلفاء في هذا العصر بفعل تفاقم خطر الدول المستقلة التي انفصلت عن جسم الخلافة . فقد قويت شوكت علي بن بويه في فارس . ووقعت الري واصفهان والجلال في يد اخيه الحسن بن بويه . واستقل الحمدانيون بالموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر . واستقل محمد بن طغج الاخشيد بمصر والشام واستحوذ نصر بن احمد الساماني على خراسان .

تقلصت نتيجة ذلك رقعة دولة الخلافة ولم يبق في ايدي الخلفاء الا العراق وبعض مناطق فارس والاهواز . الا ان هذه الاقاليم التي ذكرت كانت تسودها الاضطرابات والفتن . وآل الامر الى ان يتولى بغداد مملوك تركي او ديلمي يطلق عليه اسم (امير الامراء) له النفوذ تام والسلطان المطلق والولاية العامة وليس للخليفة من الامر شيء .

الا ان الخلافة استعادت في الفترة بين عامي (256\_295 هـ) قدراً كبيراً من سلطتها وتشمل جهود الخلفاء ، المعتمد والمعتضد والمكفي . وقد اطلق على هذه الفترة اسم (صحوة الخلافة) .

ومثل هذا العصر كل من الخلفاء : المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهدي ، المعتمد ، المعتضد ، المكفي ، المقندر ، القاهر ، الراضي ، المتقي ، والمستكفي الذي ملك بنو بويه في عهده .

### العصر العباسي الثالث : 334\_447 هـ / 946\_1055 م

ابتدأ هذا العصر اثناء خلافة المستكفي وانتهى اثناء خلافة القائم وتميز بارتباطه بتاريخ البويهيين الذين كانوا اصحاب النفوذ الحقيقي والسلطان الفعلي في العراق . ولم يكن للخليفة الا الاسم واضحى وكأنه موظف عندهم يتناول منهم ما يقيم به اوده وليس له حق التصرف في اي امر من امرو الخلافة دون الرجوع اليهم واخذ موافقتهم .

لقد فقد الخليفة نفوذه في هذا العصر يؤمر فيأتمر ويفعل ما يطلب منه وليس له عليهم من سلطان ديني لمخالفتهم له في المذهب فقد كانوا شيعة غلاة انما ارتضوا ببقاء منصب الخلافة خدمة لاغراضهم .

وقد وصف البيروني اوضاع العباسيين في ايام بني بويه في هذه العبارة : ( وان الدولة والملك قد انتقل في اخر ايام المتقي واول ايام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني اعتقادي لا ملك دنيوي ) .

ومثل هذا العصر كل من الخلفاء : المستكفي ، المطيع ، الطائع ، القادر والقائم .

### العصر العباسي الرابع : 447\_656 هـ / 1055\_1258 م

ابتدأ هذا العصر اثناء خلافة القائم وانتهى بوفاة المستعصم وتميز بانتقال السلطان الفعلي الى ايدي السلاجقة الاتراك الذين اقاموا في بلاد الجبل . كانت اوضاع الخلافة مع هؤلاء السلاجقة افضل منها مع بني بويه لانهم احترمو الخلفاء تدنيا باعتبارهم على مذهب اهل السنة وابدوا لهم مظاهر التعظيم والاجلال ما يقضي به منصبهم الديني .

لم يكن الخلفاء خلال هذا العصر على نمط واحد من القدرة والتصرف . فأنهم منذ عهد المسترشد شرعوا يستردون بعض نفوذهم الفعلي . واستقلوا بحكم بغداد والاعمال التابعة لها منذ عهد المقتفي واستعادوا نفوذهم منذ عهد الناصر واستقلوا بحكم العراق ومكثوا ستة وستين عاما لم يخضعوا فيها لاي سلطان الى ان قام المغول بتحركهم الواسع منطلقين نحو الغرب يحتلون الممالك ويدمرون المدن حتى وصلوا الى بغداد فاحتلوها واسقطوا الخلافة العباسية .

ومثل هذا العصر كل من الخلفاء : القائم ، المقتدي ، المستظهر ، المسترشد ، الراشد ، المقتفي ، المستنجد ، المستضيء ، الناصر ، الظاهر ، المستنصر و المستعصم .

من اوجه الاختلاف بين العصر الاول والعصور الاخرى من حياة دولة الخلافة العباسية ظهور عنصر جديد هو العنصر التركي وانتقال الخلافة من المركزية الى اللامركزية في نظام الحكم نتيجة قيام دولة منفصلة اما انفصالا تاما كاملا او ذاتيا مع الاعتراف بسلطة الخليفة .

وكان الفرس قد نقلوا نشاطهم الى الشرق بعدما تغلب نفوذ الاتراك ونجحوا في اقامة دول انفصالية في بعض اقاليم الدولة العباسية . فقامت الدولة الطاهرية في خراسان (205\_259 هـ / 820\_873 م) واسس يعقوب بن الليث الصفار الدولة الصفارية على انقاض الدولة الطاهرية (254\_298 هـ / 867\_911 م) واسس السامانيون دولتهم على انقاض الدولة الصفارية (261\_389 هـ / 874\_999 م) وسقطوا في اواخر القرن الرابع الهجري اي العاشر الميلادي . وحل محلهم الغزنويون واقاموا الدولة الغزنوية (351\_582 هـ / 962\_1136 م) وسيطر البويهيون على فارس والعراق والاهواز وكرمان واقاموا الدولة البويهية في العراق (334\_447 هـ / 946\_1055 م) وقضى الاتراك السلاجقة على الدولة البويهية في العراق ودخل طغرلبيك السلجوقي مدينة بغداد واستقل بها و اسس سلطانه على انقاض سلطان البويهيين .